الشيخ الأمين العالم وجهوده في الدعوة والإصلاح
من خلال مخطوط: "منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين، لأحمد بن حمادي ت:1367ه"

د. بشير عبد الله القلعي
كلية الدعوة وأصول الدين/ الجامعة الأسمرية

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية:
الأمين، جهود، منح، رب العالمين، مناقب، الدعوة.

الملخص

يعدُّ هذا المؤتمر العلمي الدولي الذي ستعقده مدرسة العلوم الإنسانية بالأكاديمية الليبية/ فرع مصراته ـــــ بمشيئة الله تعالى ـــــ خلال يومي: 29 ـــــ 30 من شهر مايو 2024م، بعنوان:(**جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة**)، يعدُّ هذا المؤتمر لمسةَ وفاءٍ وعرفانٍ من هذه المؤسسة العلميَّة الرائدة، لجهود العلماء الليبيين، وإبرازاً لإسهاماتهم العلميَّة، عبر العصور المتعاقبة، في خدمة علوم الشريعة الإسلامية بأصولها وفروعها، بالتأليف والتدريس، والقضاء والإفتاء، إلى جانب خدمة علوم الآلة التي لا يستغني عنها حملة العلم وطلابه، من اللغة العربية وآدابها، فهي مفاتيح الفهم لمعاني كتاب الله العزيز، ولسنة الرسول الأكرم ـــــ صلى الله عليه وسلم ـــــ القولية والفعلية.

وقد رغبت أن أشارك في هذا المؤتمر العلمي بورقة بحثية عن أحد العلماء الأعلام من أبناء بلادنا، وهو الشيخ محمد الأمين العالم، الذي كانت له جهود بارزة في خدمة علوم الشريعة، فقضى سني حياته المباركة في التدريس، والإفتاء، والدعوة والإصلاح، بالحكمة والموعظة الحسنة، وتربية الناشئة على مكارم الأخلاق وآداب السلوك، فجاءت مشاركتي بعنوان: **(الشيخ الأمين العالم وجهوده في الدعوة والإصلاح، من خلال مخطوط: "منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين، لأحمد بن حمادي ت:1367هـ")**.

ويهدف هذا البحث إلى التعريف بالشيخ الأمين وجهوده في الدعوة والإصلاح الاجتماعي، فهذا المخطوط "منح رب العالمين"، هو الكتاب الوحيد في التعريف بالشيخ محمد الأمين العالم، وذكر بعض أخباره ومناقبه، صنَّفه تلميذه: أحمد بن محمد بن حمادي:(ت:1367ه/1947م)، وقد تحصَّلت على نسخته الأصلية من الشيخ محمود شكري بن حمادي، وهو حفيد المؤلف، وأنا أعمل ـــــ الآن ـــــ على إعداد الكتاب للطباعة، بعد أن فرغت من تحقيقه بتوفيق الله تعالى.

وسأتناول دراسة هذا الموضوع ـــ بإيجاز ـــــ من خلال تمهيد، وأربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

التمهيد: وفيه ترجمة موجزة لمؤلف كتاب :"منح رب العالمين"، والتعريف بهذا المخطوط، ونسبته لمؤلفه، ومنهجه في تأليفه.

المبحث الأول نسخ المخطوط ووصفها، **و**المنهج المتَّبع في التحقيق.

المبحث الثاني: التعريف بالشيخ الأمين العالم، ونشأته الاجتماعية والعلمية، وشيوخه وتلاميذه.

المبحث الثالث: جهود الشيخ الأمين في الدعوة إلى الله، والتربية السلوكيَّة، والإصلاح الاجتماعي.

المبحث الرابع: وفاة الشيخ الأمين، ومكان ضريحه، وثناء العلماء عليه.

وأخيراً، سأختم بحثي بما أخلص إليه من نتائج وتوصيات، والله أسأل أن يوفقني لتغطية مباحث هذا الموضوع، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنَّه سميع قريب مجيب الدعاء.

وهذا آوان الشروع في المقصود، وتفصيل القول في مباحث هذا الموضوع بما يتسع له المقام، مستمدًّا من الله العون والتوفيق.

المبحث التمهيدي: وفيه ترجمة موجزة لمؤلف كتاب :"منح رب العالمين"، والتعريف بهذا المخطوط، ونسبته لمؤلفه، ومنهجه في تأليفه.

أولاً: التعريف بمؤلف الكتاب.

- **اسمه ونسبه[1]:**

هو أحمد بن محمد بن حسن بن بلعيد بن محمد حمادي، وهو ينتمي إلى أسرة مشهود لها بالعلم والصلاح والقيام بالوظائف الدينية، أصلها من قبيلة البراهمة، وهي إحدى القبائل الكبيرة بمدينة زليتن، وقد تولى جده حسن بن حمادي الإمامة والخطابة بمسجد أولاد حمادي بزليتن بموجب الأمر الصادر عن يوسف باشا القره مانلي بتاريخ 17 ذي القعدة 1221ه[2].

أما والد المؤلف محمد بن حسن بن حمادي، فقد تتلمذ ـــــ في سنوات طلبه الأولى ـــــ على والده وشيوخ العلم ببلدته زليتن، ولما ناهز البلوغ أرسله والده إلى زاوية أبي روي بتاجوراء؛ لاستكمال تعليمه، فاستمر في دراسته وتحصيله، إلى أن تولى إمامة مسجد الشط بمنطقة الهنشير شرقي طرابلس، وأقام هناك بإذن من والده، وتزوج وقضى بها بقية حياته، معلماً وإماماً، إلى أن توفي سنة 1315هـ، رحمه الله، وكان ذلك سبباً في وجود هذه الأسرة بمدينة طرابلس[3].

- **مولده ونشأته:**

ولد أحمد بن محمد بن حمادي بمنطقة الهنشير، إحدى مناطق الساحل الشرقي لمدينة طرابلس، يوم الأحد أول محرم سنة 1291ه الموافق لسنة 1874م، وهو الابن الوحيد لوالديه، وله أختان لأبيه[4].

عاش المؤلف بمنطقة الهنشير "مسقط رأسه"، وأقام بها طيلة حياته، وله من الولد ثلاثة أبناء وبنت، وهم: محمد، وشكري، وخيرية، والطاهر، ولم يخلف أحد من أبنائه ذرية غير الشيخ شكري[5]، وعاش المؤلف فقيراً في بداية حياته، فهو لم يتقلد أيَّ وظيفة دينية أو إدارية[6]، وإنَّما اعتمد في معيشته على التجارة في دكان صغير بقرية الهنشير، وكان أستاذه الأمين يزوره في دكانه، ويجلس إليه وينصحه، وفي ذلك يقول المؤلف:«... ولما اشتغلت بحرفة البيع والشراء بدكان بقرية الهنشير... أتاني به، وجلس معي كثيراً، وبارك لي وأرشدني، وبشَّرني بنجاح الحال وكثرة الولد والمال، ولم يكن عندي شيء حينئذٍ، وقال: يا أحمد من ضيَّع رأس ماله لا يحسب من التجار، والرزق مقسوم والسبب مطلوب، وهو لا ينافي التوكل والاعتماد على الله، وكل ما يكون بحول الله تعالى وقوته، فليس الرزق بالقوة والحيلة، ولا بكثرة البضاعة والأمكنة المشهورة...»[7].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا الوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه المؤلف، فهو في ظل أسرته الصالحة ـــــ التي حافظت على العلم والتقوى ـــــ تربي وترعرع وحفظ كتاب الله العزيز، ثم شرع في تحصيل العلوم التي كانت سائدة في تلك الآونة في بلادنا، كما سنرى فيما يلي.

- **تحصله العلمي وطريقته الصوفية:**

لم تكن للمؤلف أيّ رحلات علمية أو سياحات دينية خارج البلاد، سوى رحلته لأداء فريضة الحج والزيارة[8]، ولذلك كانت كل علومه مأخوذة عن علماء بلده، فقد درس الشيح أحمد بن حمادي على شيوخ وعلماء عصره في إطار التعليم الحر، داخل الكتاتيب والزوايا وحلقات الذكر، التي كان يغشاها في مدينة طرابلس وضواحيها، وقد كانت تلك المؤسسات ـــ آنذاك ـــ أهم دور العلم وأماكن تحصيله، فكان ابن حمادي مواظباً على حضور حلقات العلم ومجالسه، مقبلاً على أسباب التحصيل بجدٍّ واجتهاد.

---

[1] - ينظر: بعض أعلام الزاوية القادرية في طرابلس الغرب، ص6، ورقات نشرت ضمن أعمال ملتقى التصوف الإسلامي، أعدها د: جمعة محمود الزريقي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، الطبعة الأولى، 1995م، والقسم الدراسي لكتاب: المدد الفائض في علم الفرائض، للمؤلف، تحقيق: مصطفى الصادق طابلة، ومذكرة خطية لابن المؤلف شكري بن حمادي، أحتفظ بصورة منها.

[2] - نسخة من الأمر الصادر عن يوسف باشا مازالت محفوظة عند أسرة المؤلف، وقد أخبرني بذلك حفيده الشيخ محمود شكري بن حمادي.

[3] - القسم الدراسي لكتاب حادي العقول للمؤلف، تحقيق د: جمعة الزريقي ص66، ومجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 12 سنة 1997م، ص447.

[4] - القسم الدراسي لكتاب: المدد الفائض، ص27. وبعض أعلام الزاوية القادرية، ص6.

[5] - القسم الدراسي لكتاب: المدد الفائض، ص27.

[6] - المذكرة الخطية، ص4.

[7] - منح رب العالمين، ص30.

[8] - ينظر: بعض أعلام الزاوية القادرية، ص6.

وكان مؤلفنا من أتباع الطريقة القادرية، التي تنسب إلى مؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني[1]، وهي من الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي، وقد دخلت إلى ليبيا منذ أمد بعيد[2].

هذا، وإنَّ الشيوخ الذين تتلمذ عليهم المؤلف، وأشاد بذكرهم في كتبه كثيرون، ومن أشهرهم:

1. والده الشيخ محمد بن حمادي،(ت:1315ه/1897م)، وقد ترجم له المؤلف في كتابه موضوع الدراسة، عندما ذكر مشايخ شيخه الأمين، وكان الشيخ الأمين يثني عليه كثيراً، حتى قال المؤلف: «إنِّي ما علمت قدر شأن والدي إلا من لسان الشيخ»[3].

2.الشيخ محمد الأمين بن إبراهيم بن حسن العالم، (ت: 1342هـ: 1922م، وكان من أجل شيوخه عنده، وأقربهم إلى نفسه، فهو الذي أجازه في العلوم التي درسها عليه، وأجازه في الطريقة القادرية وأورادها[4]، وقد تأثر مؤلفنا بشيخه هذا تأثراً كبيراً، حتى صنف الكتاب موضوع الدراسة، في سيرته شيخه ومناقبه وكراماته، وسائر أحواله.

3. الشيخ محمد عبد المولى الهنشيري،(ت: 1345هـ: 1927م)، وكان مؤلفنا يحرص على ملازمته والتلقي عنه، ويداوم على حضور مجالس دروسه ولا يتخلف عنها أبداً، بأمر من شيخه الأمين، وقد ترجم له في كتابه "منح رب العالمين"، ذاكراً نبذة مختصرة عن حياته وسيرته العلمية، غير أنَّه لم يذكر تاريخ ميلاده ولا وفاته[5]، ولعلّه كان حياً عند تأليف الكتاب، قال عنه المؤلف: «كان شيخنا الشيخ سيدي محمد بن عبد المولى ممَّن اتُّفِق على علمه وورعه وزهده وعبادته وسخائه وبشاشته ومروءته وكرمه، وتسليمه للقضاء والقدر والرضا به، وبما قسمه الله تعالى، وقيامه بوظائف الدين، ووقوفه عند الحدود الشرعية، شديد التمسك بمذهب سيدنا مالك بن أنس -رضي الله عنه وأرضاه-، ولا يميل إلى القول الضعيف، ولا التلفيق، ولا تتبع الرخص؛ لغرض في النفس، ولا يحب التقليد، للخروج من الخلاف، مكتفيا باجتهاد إمامه»[6]، وممَّا قال عنه أيضاً: «وله اعتناء تام بوظائف دينه، حتى يترك كل شيء يخصه لنفسه، ويقرأ الدرس للطلبة، ولم أتذكر أنه ترك الدرس مرة أبداً، زمن حضوري معه، ولا فاتني درس في كتاب حضرته عليه»[7].

4. الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم العالم الكراثي: (ت: 1354هـ/ 1935م)، وقد ذكره المؤلف في كتابه: "منة الخالق على المخلوق"، حين أورد منظومة الشيخ الكراثي في مسألة الذكر خلف الجنائز، ابتدأها بقوله: «وممَّا قاله في الذكر خلف الجنازة شيخنا الشيخ محمد العالم الكراثي...إلخ»[8]، وقد عقَّب محقق حادي العقول على عبارة المؤلف بقوله: «وهي إشارة واضحة في الدلالة على أنَّه تتلمذ عليه»[9].

5. الشيخ عبد الرحمن بن محمد الأخضري البوصيري الغدامسي: (ت: 1354هـ: 1935م)، ورد في المذكرة الخطية لابن المؤلف شكري بن حمادي، أنَّه تتلمذ عليه[10]، وقد رثاه بأبيات يقول في مطلعها[11]:

غربت شمس العلوم عندنا ***** وانطفى مصباح علم وعمل

يوم أن مات البوصيري شيخنا ***** فانع أنَّ عبد الرحمن انتقل

ومن خلال معرفة هؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ عليهم المؤلف، يتضح أنَّه تلقى العلم الشرعي وعلوم اللغة والتصوف على يدي شيوخ العصر في بلادنا، الذين جمعوا بين الفقه والتصوف، أو بين الشريعة والحقيقة، ولهذا برز الشيخ في جانب التصوف، "فهو يرى التصوف في ملازمة الكتاب والسنة، وتعظيم حرمات الشرع، ومراقبة الله تعالى في السر والعلن، والمداومة على ذكر الله، والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، والإخلاص لله تعالى في العلم والعمل وسائر الأحوال، مع التفقه في الدين،

[1] - الطبقات الكبرى، للشيخ عبد الوهاب الشعراني، 108/1.
[2] - سلطان الأولياء، أحمد الزوي، ص97.
[3] - المصدر السابق، ص18.
[4] - منح رب العالمين، ص21.
[5] - توفي هذا الشيخ سنة 1928م، وعمره خمس وسبعون سنة تقريباً، ينظر القسم الدراسي لكتاب المدد الفائض، ص31.
[6]. منح رب العالمين، ص،46.
[7]. المصدر السابق، ص، 48.
[8] - منة الخالق على المخلوق، ص48، وبحوزتي صورة ضوئية من هذا المخطوط.
[9] - القسم الدراسي، ص71.
[10] - ص3.
[11] - وردت القصيدة بكاملها في القسم الدراسي للمدد الفائض، ص48.

فالتقوى عنده لا تحصل إلا بالعلم، ويعدُّه من لوازم التصوف، ويعبر عنه بالمنهاج، وبإمام العمل، وهو بهذا يعد من أنصار القول بوحدة الشريعة والطريقة"[1].

- **آثاره العلمية:**

كان أحمد بن حمادي من أهل التأليف، أصيل البحث، له مشاركة في علوم شتى، كعلم الفقه والفرائض والحديث الشريف ورسم وضبط القرآن الكريم، وعلم الفلك والحساب والتصوف، وقد خلَّف العديد من المؤلفات التي تدل على مكانته العلمية، والمناهل التي ارتوى منها، ومنذ سنوات بدأت هذه المؤلفات تأخذ طريقها إلى القراء، فقد حُقِّـق عدد منها في بعض الجامعات في رسائل علمية، ونشر بعضها الآخر، ويرجع الفضل الأكبر في التعريف بالمؤلف والكشف عن آثاره العلمية إلى الدكتور جمعة الزريقي[2]، فجزاه الله خيراً. وفيما يلي سرد موجز لمؤلفات ابن حمادي التي تمَّ العثور عليها[3]، المخطوط منها والمطبوع:

1. صلات الرب في الصلاة والسلام على أشرف العجم والعرب، وهو يقع في:(181) صفحة، وقد جمع فيه صيغاً كثيرة في الصلاة والسلام على النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بلغت:"378" صيغة، مرتبة على حروف الهجاء[4]، وقد طبع الكتاب ونشر بتحقيق الدكتور إبراهيم الحواسي.
2. أسمى الوسائل في الصلاة والسلام على أشرف الوسائل، ويقع في (100) صفحة، وقد جمع فيه ـــ أيضاً ـــ صيغاً عديدة في الصلاة والسلام على الذات المحمدية، والكتاب لا يزال مخطوطاً[5].
3. ورد الحبيب في الصلاة والسلام على المنبئ بالغيب، ويقع في: (25) خمس وعشرين صفحة، من القطع الكبير، جمع فيه ـــ كسابقيه ـــ نخبة من صيغ الصلاة والسلام على الرسول الأكرم ـــ صلى الله عليه وسلم[6].
4. المدد الفائض في خلاصة علم الفرائض، وهو كتاب في علم الميراث، ويقع في(109) مائة وتسع صفحات، من الحجم المتوسط، وقد قام بتحقيق الكتاب الأستاذ: مصطفى الصادق طابلة، ونال به درجة الماجستير من جامعة طرابلس، نوقشت بتاريخ 1999/11/22م[7]، ثم طبع ونشر سنة: 2006م.
5. تذكرة الولدان في حذف الإشارة لكلمات القرآن، وهو نظم يتكون من سبعة وتسعين بيتا من بحر الرجز، جمع فيه المؤلف الكلمات القرآنية التي خصَّها أبو عمر الداني برسم خاص، وعددها:(136) مائة وست وثلاثون كلمة، وقد نشر هذا الكتابَ ابنُ المؤلف الشيخ: شكري بن حمادي، عن طريق مكتبة النجاح بطرابلس سنة 1994م، ثم أعادت جمعية الدعوة الإسلامية نشره سنة: 1997م[8].

6. رسالة في بيان أحكام البيوع وما شابهها، وهو نظم يتكون من (295) مائتين وخمسة وتسعين بيتاً، من بحر الرجز، قام بتحقيقها الأستاذ: أحمد سالم الخمائسي ونال بها درجة الماجستير من كلية التربية، بجامعة الزاوية، سنة: 1996م.

7. منة الخالق على المخلوق في إسقاط ما بذمته من سائر الحقوق، ويقع هذا الكتاب في (89) تسع وثمانين صفحة، وهو كتاب فريد، حوى أحكام قضاء وإسقاط حقوق الله تعالى، وحقوق العباد المتعلقة بذمة الإنسان المؤمن في حال حياته وبعد مماته، ومسائل أخرى وثيقة الصلة بموضوع الكتاب، وقد تمَّ تحقيق هذا المخطوط لنيل درجة الماجستير من قبل أحد طلبة الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة الزاوية، كما قدم الدكتور ضو عمر جماعة بحثاً حول منهج المؤلف في هذا الكتاب، تمَّ نشره في مجلة أصول الدين التي تصدرها كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية العدد السادس، جمادى الأولى 1444ه/ديسمبر 2022م.

---

[1]. القسم الدراسي للمدد الفائض، ص70.

[2] - ألقى الدكتور جمعة الزريقي محاضرة حول التعريف بالمؤلف وآثاره العلمية بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية بتاريخ 1995/02/08م، كما نشر ترجمة مختصرة عن المؤلف وآثاره العلمية في رسالة صغيرة ضمن مجموعة من أعلام الزاوية القادرية بطرابلس الغرب، ونشر مقالاً عنه في مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الثاني عشر لسنة 1997م.
قلت: ذكر بعض محققي آثار الشيخ ابن حمادي أن هناك عدداً من مؤلفاته ما يزال مفقوداً.(ينظر القسم الدراسي من كتاب حادي العقول، ص82).

[3] - المذكرة الخطية لابن المؤلف ص6، وبحوزتي نسخة منها، وينظر: بعض أعلام الزاوية القادرية د: جمعة الزريقي ص6، والقسم الدراسي لكتاب حادي العقول ص76 وما بعدها، ومنهج أحمد بن محمد حمادي في كتابه: "منة الخالق على المخلوق، في إسقاط ما عليه من الحقوق" د. ضو عمر جماعة، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية، العدد السادس، جمادى الأولى 1444ه/ ديسمبر 2022م، ص589.

[4] - ولما فرغ من تأليف هذا الكتاب عرضه على شيخه الأمين فسماه: نبراس الأبرار في الصلاة والسلام على النبي والآل الأطهار.(منح رب العالمين ص21).

[5] - ينظر: القسم الدراسي لكتاب: حادي العقول، ص76.

[6]. ينظر: المصدر السابق ص77..

[7] - القسم الدراسي لكتاب منح رب العالمين ص27.

[8]. ينظر: مقدمة تحقيق حادي العقول، ص: 80، والقسم الدراسي لكتاب منح رب العالمين ص28.

8. حادي العقول إلى بلوغ المأمول، ويقع هذا الكتاب في (203) مائتين وثلاث صفحات، وقد حوى هذا الكتاب موضوعات مختلفة في العقيدة والأحكام الشرعية والمواعظ والتصوف، وحكم وأقوال مأثورة، وفيه تخميس وتشطير لكثير من القصائد والمقطعات في المديح النبوي، وقد قام بتحقيقه الدكتور جمعة الزريقي، ونشرته جمعية الدعوة الإسلامية بطرابلس سنة 1998م.

9. منية العابدين في تلاوة كلام أرحم الراحمين، وهو كراس من الحجم المتوسط، وعدد صفحاته:(201) مائتان وصفحة واحدة، وهو لا يتعلق بعلم القراءات كما يظنُّ، وإنَّما موضوعه فضائل سور القرآن الكريم[1].

10. كتاب: منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين، وهو موضوع الدراسة في هذا البحث.

تلك هي أهم مؤلفات هذا الفقيه الصوفي الزاهد الشيخ أحمد بن حمادي ـــ رحمه الله تعالى ـــ ومنها تتضح للقارئ مكانته العلمية، وإلمامه بعلوم عصره، ودراسته للكتب التي كانت متداولة في الزوايا المنتشرة في بلادنا، فإنَّها كانت أهم مراكز الإشعاع ودور العلم إبَّان عصر المؤلف، ولم تكن مقتصرة على حلقات الذكر والتسبيح كما يعتقد، وإنَّما كانت منارات لتدريس العلوم الشرعية بفروعها، واللغة العربية وآدابها، وكان لرجالها الفضل في الحفاظ على هويتنا الدينية بمكوناتها: من العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والتربية الروحية على طريقة الإمام الجنيد، وكانت تلك الزوايا حصناً حصيناً لأبناء بلادنا في حفظ موروثهم الثقافي الديني، وسدًّا منيعاً في وجه التغريب الذي رامه الاستعمار الإيطالي.

- **وفاته، ومكان ضريحه:**

وبعد هذه الحياة الحافلة بالعمل والعطاء العلمي، والزهد والتعبد والصلاح، والتدريس والوعظ والإرشاد، ودع الشيخ أحمد بن حمادي هذه الحياة، وانتقل إلى رحمة الله تعالى، وهو ساجد في الركعة الأخيرة من صلاة العصر يوم السبت الثالث من شهر ربيع الثاني سنة 1367ه، الموافق للرابع عشر من شهر فبراير سنة 1948م[2]، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، ودفن بمقبرة الهنشير بسوق الجمعة من ضواحي مدينة طرابلس الغرب، وقد كُتب على قبره هذه الأبيات[3]:

هذا الضريح لأحمدا *** مدّاح خير العالمين**

لبى المهيمن ساجدا *** لما رأى عين اليقين**

والحظ أقبل وافرا *** ولنعم دار المتقين**

أسأل الله باسمه الأجل الأكرم أن يجازي أحمد بن حمادي خير الجزاء، على ما قدَّمه من جهد في خدمة علوم الشريعة، وأن ينفع الأجيال بما خلفه من آثار علمية نافعة، وأن يتقبَّله بواسع رحمته، ويسكنه الفردوس الأعلى، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. آمين.

ثانياً: التعريف بالمخطوط، والهدف من تأليفه:

الكتاب موضوع الدراسة يحمل عنوان:(منح ربِّ العالمين في مناقب شيخنا الأمين)، وموضوعه في التصوف الإسلامي، ومناقب الصالحين، وقد قصد منه مؤلفه في الأصل أن يجعله ترجمة ذاتية لسيرة شيخه محمد بن إبراهيم بن حسن بن عبد النور، الشهير بالأمين العالم، رحمه الله تعالى، وإظهار مناقبه، ونشر مآثره، فكتب عن كل كبيرة وصغيرة في حياة شيخه، من تنشئته الاجتماعية، وحياته العلمية، وأبرز شيوخه وتلاميذه، ومنهجه في التربية والإرشاد، والمهام التي تولاها، ثم وفاته وما رثاه به تلاميذه ومحبّـوه، وكان المؤلف يرى أنَّ ما قام به ـــ من الكتابة عن سيرة شيخه ـــ أمر واجب عليه تجاهه، وحق مترتب في ذمته، فقد أشار ـــ في خاتمة الكتاب ـــ إلى أنَّه ما كتب هذه الكلمات إلا تأدية لبعض حقوق شيخه، فقال: «ما كتبت هذه الكلمات إلا تأدية لبعض حقوق سيدي وشيخي وأستاذي ـــ رحمه الله رحمة واسعة ـــ لأنَّه رباني وأحسن إليَّ، وعلَّمني وأرشدني إلى كل خير، وحذَّرني من كل شر وضير، جزاه الله عني خيراً وإحساناً، وجنة عالية ورضواناً، إنَّه جواد كريم»[4].

[1] - ينظر: المذكرة الخطية لابن المؤلف، ص4، والقسم الدراسي من كتاب حادي العقول، ص83.
[2] - أفادني بضبط تاريخ وفاة المؤلف الدكتور جمعة الزريقي، وقال إنَّ الذي أخبره بذلك من حضر الوفاة شخصياً، وهو الأستاذ علي حسنين.
[3]. المذكرة الخطية لابن المؤلف، ص8، وتراجم ليبية، جمعة الزريقي، ص،134.
[4] - منح رب العالمين، ص78.

وإلى جانب هذه السيرة الذاتية للشيخ الأمين العالم، سلك المؤلف في كتابه هذا طائفة من القضايا والمسائل ذات العلاقة بأحكام التصوف الإسلامي السني[1]، منها:

أولاً: أهمية الشيخ المربي لمن أراد سلوك طريق التصوف، وآداب التلاميذ تجاه أشياخهم.

ثانياً: التلقين والسند عند الصوفية، والإجازة بالأوراد والأذكار.

ثالثاً: تعريف الولي وشروطه، وكرامات الأولياء.

إلى غير ذلك من القضايا والأحكام التي استطرد إليها المؤلف ـــ عَرَضاً ـــ في ثنايا كتابه.

ثالثاً: نسبة الكتاب لمؤلفه.

لقد تحققت من صحة نسبة كتاب:(منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين)، إلى الشيخ أحمد بن محمد بن حمادي، معتمداً في ذلك على جملة من الأمور، تنفي أدنى شك في ذلك، وهي الآتية:

أولاً: ورد هذا العنوان مثبتاً داخل مثلث في صفحة الغلاف من النسخة الأصلية، وهي بخط المؤلف نفسه، وهذه النسخة موجودة محفوظة عند أسرة المؤلف، وقد اطلعت عليها بنفسي، واحتفظ بصورة ضوئية منها.

ثانياً: تصريح المؤلف نفسه بهذا العنوان ـــ بقوله ـــ في المقدمة صفحة 3:(... وسميته منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين)، وهذا يعد من أقوى الأدلة على صحة نسبة الكتاب لمؤلفه أحمد بن حمادي.

ثالثاً: ورود هذا العنوان نفسه في صفحة الغلاف من النسخة المنقولة عن النسخ الأصلية، بخط ناسخها محمد علي صباكة[2]، فقد جاء فيها ما نصه: (هذا كتاب منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين، لجامعه أحمد بن محمد بن حمادي، لطف الله بهم يوم التنادي. آمين).

رابعاً: ما ذكره الدكتور جمعة محمود الزريقي في بحث له بعنوان:(بعض أعلام الزاوية القادرية في طرابلس الغرب) الذي شارك به في أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي الأول، الذي عقد بمدينة طرابلس خلال المدة من 16 إلى 19 سبتمبر 1995م، وقد ذكر في بحثه ذاك أنَّ هذا الكتاب من مؤلفات أحمد بن حمادي، وأنَّه ما زال مخطوطاً عند أسرة المؤلف.

[3]رابعاً: منهج ابن حمادي في تأليف هذا الكتاب.

كان الشيخ أحمد بن حمادي واضح الأسلوب في كل ما ترك من مؤلفات، وآثار علمية بوجه عام، وله منهج سليم في البحث العلمي، يقوم على استيعاب مادة بحثه وموضوعه، واستقصاء كل مسألة ومناقشتها، فهو يجمع ما تفرق عند غيره، ويأتي بوجوه محتملة وأخرى مروية، ويناقش كل ذلك بعقل وفهم، ويعرض جوانبها مدعَّماً بالأدلة والشواهد، ثم يرجح الوجه الذي يراه مدلِّلاً عليه، محتجاً له، بأسلوب يغلب عليه السجع، وتراه ـــ أحياناً ـــ يعيد بيان مسألة سبقت، ويبرر ذلك بأهميتها أو دقتها، أو غفلة بعض طلبة العلم عنها[4]، فهذا أسلوبه ومنهجه في التأليف بوجه عام.

أما في هذا الكتاب (منح رب العالمين)، فهو يدخل ـــ بعد المقدمة ـــ في موضوعه دون تبويب، أو فصل بين أغراض موضوع الكتاب وقضاياه المتعددة، ولهذا نراه ـــ بعد المقدمة ـــ يشرع في الحديث عن مولد شيخه الأمين العالم، ونشأته وتحصيله العلمي، وذكر أبرز شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم حتى أجازوه، ثم عن تصديه للتعليم والإرشاد، ثم يتحدث عن

---

[1] - التصوف السني هو التصوف الإسلامي الحق، الذي تتضح فيه الخصائص الإسلامية، ويتفق معها في المبادئ والغايات، وهذا التصوف يمتاز بالخصائص الآتية:
أولاً: الإعلاء من شأن الزهد في متع الحياة، وهو الزهد المعتدل الذي لا يبالغ في حرمان الجسد وإذلال النفس.
ثانياً: الاعتماد كلية على نصوص الدين الواضحة في أصوله وقواعده، وآدابه ومراتبه، ومقاماته وأحواله،
ثالثاً: التأكيد على أهمية المعرفة الذوقية الكشفية، التي تقع في القلب مباشرة، بإلهام من الله دون إعمال العقل.
رابعاً: التصديق بكرامات الأولياء التي تكون أمارة صدق على سلامة عقيدة صاحبها، وصحة سلوكه.
خامساً: أن يتدرج السالك في رياضة روحية نفسية، على يد شيخٍ مربٍّ، حتى يصل إلى الصفاء الكامل، وينال المقامات والأحوال التي ذكرها القوم في كتبهم.(ينظر: الحركة الصوفية للمجتمع العربي الليبي، عمر التومي الشيباني، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد العاشر 1995م، ص225، طرابلس، ولمحات من= =التصوف وتاريخه، السائح علي حسين، الطبعة الأولى، 1994م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس. ص45.

[2] - توفي بتاريخ السبت الموافق 23 مارس سنة 2002م، ودفن بمقبرة سيدي منيذر بطرابلس، (ينظر: مجلة الأسوة الحسنة، العدد السابع 2002م، ص7.

[4] - المذكرة الخطية ص5.

بعض تلاميذه الذين أجازهم، وأذن لهم في تدريس العلم الشرعي وتربية الناشئة، وأحياناً يغلب عليه أسلوب الاستطراد، والخروج عن الموضوع لمناسبة ما.

وهكذا يستمر المؤلف من أول الكتاب إلى آخره في الانتقال من موضوع إلى الذي يليه، دون فصل بين المواضيع، بعناوين أو أبواب أو فصول.

المبحث الأول نسخ المخطوط ووصفها، والمنهج المتَّبع في التحقيق.

أولاً: نسخ المخطوط ووصفها.

بعد البحث والتحري ـــ قدر الإمكان ـــ تبين لي أنَّ كتاب :(منح رب العالمين) توجد منه نسختان فقط، نسخة بخط المؤلف، ذكر في آخرها تاريخ الفراغ من تبييض الكتاب، فقال: «وقد انتهى ـــ بحمد الله وتوفيقه ـــ تخريجه من مبيضته عشية الإثنين ثامن شوال سنة 1342ه»، وهذه النسخة محفوظة عند أسرة المؤلف ـــ كما ذكرت آنفاً ـــ وقد تفضل حفيده محمود شكري بن حمادي بتزويدي بها، فاطلعت عليها، ثم أذن لي بالحصول على صورة ضوئية منها، فجزاه الله خيراً.

أما النسخة الأخرى، فهي بخط ناسخها الشيخ محمد علي صباكة، وبحوزتي صورة ضوئية منها ـــ أيضاً ـــ زودني بها الدكتور جمعة الزريقي، جزاه الله خيراً.

- **وصف النسختين:**

أ. النسخة الأم: وهي النسخة الأصلية التي بخط المؤلف نفسه، وهي تقع في:(86) ست وثمانين صفحة، في كل صفحة عشرون سطراً، وعدد الكلمات في كل سطر حوالي عشر كلمات، وورقها أصفر متوسط الحجم، وخطها مغربي، وفي طرر بعض الصفحات تهميشات وإلحاق للكلمات الساقطة بخط المؤلف، وقد استعمل الترقيم العددي المعروف، كما استعمل ـــ أيضاً ـــ طريقة القدامي، وهي نظام التعقيب؛ لزيادة الضبط لصفحات الكتاب، وألحق المؤلف بهذا الكتاب تقريظاً للشيخ محمد بن علي الشريف زغوان.

ب. النسخة المنقولة عن الأصل: وهي بخط الشيخ محمد بن علي صباكة، وقد زرته في بيته بطرابلس قبل وفاته ـــ رحمه الله ـــ وعرضت عليه تلك النسخة، فأقرَّ أنَّها بخطه، وقد نقلها عن أصلها، ودوَّن في آخرها أنَّه فرغ من نسخها يوم الخميس السابع عشر من شهر المحرم سنة 1371ه، وهي تقع في (88) ثمان وثمانين صفحة، من الحجم المتوسط، وقد كتبت بخط مشرقي واضح ومنظَّم، وقد أدخل الناسخ الكلمات التي في الطرَّة، في الصلب في مواضعها المناسبة.

ثانياً: المنهج المتبع في تحقيق المخطوط.

ذكرت في تحقيقي لهذا المخطوط أنَّني بذلت قصارى جهدي في تحقيق نصه وإخراجه سليماً كما أراده صاحبه، فاتبعت في سبيل ذلك الخطوات الأتية:

1. تحقيق النص بمقابلة النسختين وإثبات ما بينهما من فروق بالهامش.
2. توثيق النص وربطه بالمصادر التي اعتمد عليها المؤلف في تقميش مادته.
3. تخريج ما فيه الآيات القرآنية والأحاديث والآثار والأبيات الشعرية.
4. التعريف بما ورد فيه من الأعلام والكتب والطوائف والأماكن قدر الإمكان.
5. شرح ما فيه من ألفاظ غريبة أو مشكلة.
6. التعليق على بعض ما تضمنه من القضايا التي تدعو الحاجة إلى التعليق عليها وإيضاحها.
7. وضعت عناوين لمباحث الكتاب؛ لتيسير الرجوع إليها، من خلال ربطها بأرقام الصفحات في فهرس الموضوعات.
8. وضعت فهارس فنية مفصلة لجميع محتويات المخطوط.

ولعلي بهذه الخطوات أكون قد وفقت في خدمة النص وإخراجه في صورة صحيحة، فغاية كل محقِّـق أن يخرُجَ النصُّ أقربَ ما يكون إلى ما تركه عليه صاحبه.

المبحث الثاني: التعريف بالشيخ الأمين العالم، ونشأته الاجتماعية والعلمية، وشيوخه وتلاميذه.

أولاً: اسمه ونسبه، ومولده ونشأته:

- **اسمه ونسبه:**

الشيخ الأمين العالم، هو محمد بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن إبراهيم، الملقب بالعالم، وهو من قبيلة عبد النور الذين ينتسبون إلى جدهم خليفة[1]، وخليفة هذا هو الملقب "بفيتوري"، وينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وعليه فإنَّ نسب الشيخ الأمين ينتهي إلى آل البيت من نسل الحسن بن علي وابن فاطمة الزهراء، رضي الله عنهم جميعاً.

- **مولده ونشأته:**

ولد الشيخ الأمين العالم بمنطقة الساحل الشرقي لمدينة طرابلس الغرب، بقرية العمروص سنة 1272ه الموافق 1855م[2]، ونشأ نشأة صالحة، فقد تربى في رعاية والده، الذي كان إماماً وخطيباً بجامع العريفي بالعمروص، فأدبه ورباه تربية حسنة، وكان لوالده رغبة شديدة في تنشئته على حفظ القرآن الكريم ودراسة العلم الشرعي، فبلغة الله مراده، ونال الشيخ الأمين النصيب الأوفر من القرآن الكريم والعلم الشرعي.

ولما بلغ الأمين مبلغ الرجال، كان والده يستشيره في أغلب شؤونه، حتى إنَّه يقول له ـــ أحياناً ـــ "يا سيدي"[3].

أما جده الأعلى "إبراهيم العالم"، فقد درس العلم في بداية حياته بمدينة زليتن ـــ مسقط رأسه ـــ ثم انتقل إلى الأزهر الشريف، للدراسة، وبعد عودته انتقل إلى مدينة طرابلس الغرب، واستوطن بمنطقة السوالم بالساحل الشرقي، وكان ذلك بتوجيه من شيخة إبراهيم بن ناصر[4]، فتصدَّر للعلم وإلقاء الدروس بحاضرة طرابلس، وقد أخذ عنه العلم الفقيه الأصولي محمد بن عبد الصادق بن ريسون الحسني التطواني، وذلك أثناء رحلته إلى المشرق[5].

ونظراً لغزارة علمه وذكائه، وقوة رأيه، وحلمه، أحبه يوسف باشا، والي طرابلس حباً شديداً، ولقبه "بالعالم"، وقربه منه وأنزله المنزل اللائق به، وعوَّل على علمه ورأيه في الأحكام، حتى توفاه الله[6]، ولذلك شاع لقب "العالم" في عقب إبراهيم المذكور، واشتهروا به[7].

وممَّا سبق يتضح أنَّ الشيخ الأمين العالم قد نشأ وتربى في بيت علم وصلاح، فكان بذرة طيبة نبتت في أرض طيبة.

ثانياً: حياته العلمية، وأبرز شيوخه وتلاميذه:

كانت المساجد والزوايا أهم دور العلم والمعرفة ـــ في بلادنا ـــ إبَّان الحقبة التي عاش فيها الشيخ الأمين، فكان لهاتين المؤسستين الدينيتين الدور الأكبر في تحفيظ أبناء المسلمين القرآن الكريم، ودراسة العلوم الشرعية، والحفاظ على اللغة العربية وآدابها.

وقد بدأ الشيخ الأمين تعليمه بحفظ القرآن الكريم بجامع العريفي، على يد عمه محمد بن حسن بن عبد النور، وبعد أن فاق ـــ في حفظه وضبطه ومعرفة معانيه ـــ سائر أقرانه، أخذ يتلقى العلوم والمعارف مقرونة بالإجازات على مشايخ بلده الآتي ذكرهم.

- **شيوخه:**

---

[1] - ينظر: مخطوط منح رب العالمين، ص4، فقد ذكر المؤلف في الهامش ما نصه: «وقبيلة أولاد عبد النور الذين بالساحل ينسبون إلى جدهم خليفة، أحد جدود الأشراف، من نسل السبعة الفواتير، أولاد سيدي سليمان رضي الله عنه». قوله: «الساحل»، يقصد الساحل الشرقي لمدينة طرابلس.

[2] - منح رب العالمين، ص5.

[3] - منح رب العالمين، ص5.

[4] - هو الشيخ إبراهيم بن ناصر، لم أعثر على ترجمته في كتب التراجم والسير.

[5] - بعض أعلام الزاوية القادرية في طرابلس الغرب، لجمعة الزريقي، ص2، نقلاً عن مجلة دار الحديث الحسنية، العدد الثامن، ص499، المملكة المغربية.

[6] - منح رب العالمين ص5.

[7] - تجدر الإشارة إلى أن هناك عائلة أخرى تعرف "بعائلة العالم"، تقطن منطقة تاجوراء، ويرجع نسبهم إلى الشيخ عبد السلام بن عثمان التاجوري العالم، وهو من أحفاد الشيخ عبد السلام الأسمر.

ذكر الشيخ أحمد بن حمادي أبرز الشيوخ الذين تتلمذ عليهم شيخه الأمين، وهم[1]:

1. الشيخ محمد بن عمرة،(ت:1298ه)[2]، وهو من كبار مشايخه في التربية الروحية وسلوك طريق القوم، فقد ذكر ابن حمادي أنَّ شيخه الأمين نال الإجازة الكبرى مكتوبة من شيخه محمد بن عمرة في التربية والإرشاد، وإذن له إذناً تاماً عاماً، ولكن المؤلف لم يتيسر له الاطلاع على تلك الإجازة المكتوبة، وإنَّما سمع ذلك من شيخه الأمين مراراً[3].
قلت: حيث إنَّ الشيخ الأمين كان شيخاً لعموم الطريقة القادرية في طرابلس، فكونه أجيز فيها وحصل له الإذن من الشيخ ابن عمرة، كلام فيه نظر؛ لأنَّ الشيخ محمد بن عمرة طريقته إدريسية، وقد تلقاها عن شيخه محمد عثمان الميرغني كما ذكر المؤلف[4]، ويندفع هذا الإشكال بأحد أمرين:

الأول: أن يكون محمد بن عمرة مجازاً من شيخه الميرغني في الطريقتين الإدريسية والقادرية، فأجاز تلميذه محمد الأمين في الطريقة القادرية.

والثاني: أن يكون الشيخ محمد بن عمرة قد أجاز الشيخ الأمين في الطريقة الإدريسية وليس القادرية، ولكنِّي أرجح الأول؛ لأنَّه لو كان الشيخ الأمين مجازاً في الطريقة الإدريسية لورد الحديث عنها في كتاب منح رب العالمين، ولما خفي ذلك على المؤلف.

2. ابن عمه الشيخ محمد بن عبد النور الهنشيري، المتوفى سنة 1307ه، وقد أجازه بجميع ما أجيز به من مشايخه، وهذه الإجازة العامة جاءت في نظم رائق سلس وتقع في:(35)، خمسة وثلاثين بيتاً، منها قوله[5]:
أجزته بجميع ما وُصِلْتُ به *** من الإجازة من قوم ذوي همم**

3. ومن مشايخه أحمد المسعودي الصيد، وكان شيخ الطريقة العيساوية بطرابلس الغرب في وقته، وقد نال منه الشيخ الأمين الإجازة في الطريقة العيساوية بالسند المتصل وما حواه من أسماء أهل العلم والصلاح، وناوله إياها مكتوبة في صورة نظم من 86 بيتاً، وممهورة بختمه، وقد أوردها المؤلف بتمامها، ومنها قوله، بعد الافتتاحية[6]:
وبعد، فالشرط لذي التصدير ***** أي من يرد إرشاداً للغير

معرفة الآباء في الطريق ***** وإلا فهو خال عن تحقيق

إذ كل من جلس للإرشاد ***** بلا إجازة من ذي إسناد

لا يقتدى به في هذا الشان ***** ولا يكون من ذوي العرفان

بل هو عندهم مثل اللقيط ***** وكان شبه العشواء في التخبيط

4. ومن مشايخه الشيخ محمد بن أحمد العكاري(ت:1313ه/1895م)، وهو أحد العلماء الأعلام بحاضرة طرابلس الغرب، وله العديد من المؤلفات منها منظومته في علم الفرائض المسماة :"درر الفرائض الإرثية"، وقد درسها عليه الشيخ الأمين مع شرحها، وأجازه فيها، وكما أجازه بإجازات أخرى اطلع عليها المؤلف وأثبتها في كتابه[7].
5. ومن مشايخه والد المؤلف وهو الشيخ محمد بن حمادي، (ت:1315ه)، وذكر المؤلف أنَّه لم يتسنَّ له الاطلاع على إجازة والده للشيخ الأمين، وقد ذكر له شيخه ذلك مراراً[8].
6. ومن مشايخه المجيزين له شيخه محمد الضاوي بن يوسف الصادي، وقد حرَّر له إجازة مسندة مكتوبة ممهورة بإمضائه وختمه، وأجازه بجميع ما أُجِيز به من مشايخه من معقول ومنقول، وذلك بتاريخ التاسع من شهر المحرم سنة 1320ه[9].

مما سبق يتبين لنا أنَّ الشيخ الأمين العالم لم تكن له رحلات علمية خارج البلاد، وإنَّما اعتمد ـــ في دراسته وتحصيله ـــ على الحلقات والمجالس العلمية، التي كانت تعقد في المساجد والزوايا في بلادنا، وقد درس العلوم الإسلامية، من عقائد وعبادات وفرائض، إلى جانب اللغة العربية وآدابها، حتى تزود من ذلك بقدر كبير[10]، ثم سلك طريق التصوف، فنال فيه

[1] - مخطوط منح رب العالمين ص 6، وما بعدها.
[2] - لم أعثر على ترجمة وافية له، إلا ما ذكره الشيخ ابن حمادي في هذا المخطوط.
[3] - منح رب العالمين ص 15.
[4] - منح رب العالمين ص7
[5]- منح رب العالمين، ص9.
[6] - منح رب العالمين، ص10.
[7] - منح رب العالمين، ص15.
[8] - منح رب العالمين، ص15.
[9] - منح رب العالمين ص8.
[10] - بعض أعلام الزاوية القادرية ص4.

الإجازة الكبرى في الطريقة القادرية سنة 1298ه[1] من الشيخ محمد بن عمرة الذي قدم من المغرب وأقام بمنطقة عرادة، من ضواحي مدينة طرابلس، وفي سنة 1332ه تولى الشيخ الأمين الإفتاء رسمياً في منطقة الساحل بطرابلس، بالإضافة إلى نقابة الزاوية القادرية بقرية العمروص، يقوم على تربية المريدين والمنتسبين الذين يترددون عليها، وكان يتردد ـــ أيضاً ـــ على الزاوية القادرية الأم بزنقة الفنيدقة داخل مدينة طرابلس؛ ويلقي فيها الدروس[2].

أمَّا في مجال التأليف، فلم تظهر للشيخ الأمين مؤلفات حتى الآن، وخير ما يمكن أن يقال عنه أو يوصف به ـــ في هذا المجال ـــ ما أورده محمد زغوان في ألفيته، حيث قال: «إنَّ الشيخ الأمين لم يشتغل بالتأليف، وإنَّما ألف القلوب وهذَّبها، وأوصلها لحضرة علام الغيوب، وعالج ذوي الأمراض الباطنية والظاهرية، بالأدواء الحسية والمعنوية»[3].

قلت: قد كان هذا دأب عدد من أقطاب التصوف الإسلامي، فكانوا ـــ بدلاً من تأليف الكتب ـــ يربُّون الرجال، فيخلِّفون لنا موسوعات علمية تمشي بين الناس، وقدوات حية يعيشون بين ظهرانيهم، فيؤثرون فيمن حولهم بسلوكهم الطيب وأخلاقهم النبيلة، وهم كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم، منهم أبو الحسن الشاذلي، فقد سئل: لِمَ لا تؤلف الكتب؟ فقال: «كتبي أصحابي»[4].

- **تلاميذه:**

تتلمذ على الشيخ الأمين خلق لا يحصون كثرة، نهلوا من معين علومه ومعارفه، ونالتهم بركة الجلوس بين يديه، فلقن العلوم وهذب النفوس، فهو رجل ربَّاني، جمع بين العلم والصلاح، وقد ذكر تلميذه المؤلف كوكبة مباركة من أبرز تلاميذ الشيخ الذين تخرجوا على يديه، حتى صاروا علماء مجازين، ومنهم:

1. أحد شيوخه وهو الشيخ محمد الضاوي بن يوسف الصادي، فقد سأل تلميذه الأمين مراراً أن يجيزه، والشيخ الأمين يعتذر منه، ويقول له مستحيياً :«أنت شيخي»[5]، ثم إنَّ الشيخ الأمين أجاز شيخه محمد الضاوي إجازة عامة مكتوبة قُرِأت على مشهد من الناس، فيهم المؤلف والشيخ علي سيالة وغيرهما، بجامع العريفي بمنطقة العمروص[6].
2. ومن التلاميذ النجباء الذين أجازهم الشيخ الأمين الشيخ علي سيالة، وقد لقبه شيخه بالأمين، وقد أجازه شيخه إجازة عامة في تدريس العلوم وتربية المريدين، ودلالة الخلق على الحق، وكان كثير الدعاء لشيخه الأمين، وقد جمع له أكثر من ثلاثين كرامة، وكان يحدث بها تلاميذه ليالي عديدة[7].
3. وممن أجازهم الشيخ الأمين إجازة مكتوبة تلميذه النجيب الوفي أحمد بن محمد بن حمادي، الذي صنف هذا الكتاب: "منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين"، وقد أجازه شيخه الأمين إجازات عديدة مسندة، في علوم ومعارف شتى، وأوراد وأحزاب عديدة، ذكرها الشيخ ابن حمادي في هذا الكتاب[8].

المبحث الثالث: جهود الشيخ الأمين في الدعوة إلى الله، والتربية السلوكيَّة، والإصلاح الاجتماعي.

أودُّ قبل الحديث عن جهود الشيخ الأمين في الدعوة إلى الله، والتربية السلوكيَّة، ودوره الإصلاحي، أن أنقل كلاماً نفيساً للشيخ الخضر حسين، في سلسلته الرائعة :"رسائل الإصلاح"، يتحدث فيه عن دور العلماء في إصلاح مجتمعاتهم، قال: «ينظر أهل العلم في حال الناس من جهة ما يتقربون به إلى الخالق، ويزنون أعمالهم ليميزوا البدعة من السنّة، ويرشدوهم إلى أن يعملوا صالحًا... وينظرون في أحوال الناس من جهة ما يدور بينهم من المزاعم الباطلة، والأحاديث المصنوعة، وينفون خبثها نفي النار لخبث الحديد، يفعلون هذا ليكون الناشئ المسلم نقي الفكر، صافي البصيرة، لا يحمل في نفسه إلا عقائد خالصة، وحقائق ناصعة، وينظرون في أحوال الناس من جهة ما يجري بينهم من المعاملات، فيصلحون ما كان فاسداً، ويصلون ما كان منقطعاً، وما شاعت المعاملات التي نهى عنها الدين في غير هوادة، كالربا والميسر، إلَّا حيث قلّ من يعظ الناس في ارتكابها، ويبسط القول في شؤم عاقبتها،... وينظر أهل العلم بعين الاحتراس إلى كل من يدعو إلى مذهب باسم الدين، ويتخذون الوسائل إلى الاطلاع على حقيقة قصده، ويرقب أهل العلم كل حركة تقوم بها جماعة من الأمة، فينقدونها بالنظر الخالص، ويصدعون

---

[1] - منح رب العالمين ص9.
[2] - بعض أعلام الزاوية القادرية ص4.
[3] - ألفية المواهب السنية ص36.(هذه الألفية هي مخطوط تحصلت على نسخة منه من الدكتور عبد الستار بيشية ـــ جزاه الله خيراً ـــ ويعدَّ نظماً لكتاب منح رب العالمين، ويقع في ألف بيت)
[4] - لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن، أحمد بن عطاء الله السكندري، ط2، 1992م، مكتبة عالم الفكر، مصر، ص7.
[5] - منح رب العالمين ص18.
[6] - منح رب العالمين، ص19
[7] - المصدر السابق، ص20.
[8] - ينظر: منح رب العالمين، ص21 وما بعدها.

فيها بآرائهم، مدعومة بالأدلة المقنعة، ولا تعدُّ هذه المراقبة وهذا النقد خارجين عن خطة العالِم المسلم، بل هما واجبان في عنقه، كواجب التعليم والإفتاء»[1].

ثم يضيف الخضر حسين قائلاً:«... ولا يستحق لقب عالم أو مصلح ذلك الذي يدعو الناس إلى العمل الصالح، ويقبض عنه يده، أو ينهاهم عن العمل السيئ، ولا يصرف عنه وجهه، فمن أدب العلماء: أن يسابقوا الأمة إلى اجتناب ما يُؤاخَذُ به، وعمل ما يُحمَد عليه... فإنَّ ذلك أدلَّ على إخلاصهم، وأدعى إلى توقيرهم وقبول نصائحهم»[2].

قلت: ما قاله الشيخ الخضر حقٌّ وصواب، وقد كان هذا هو دأب الشيخ محمد الأمين العالم، ودوره الدعوي الذي اضطلع به في مجتمعه؛ فهو شخصية صوفية فذَّة، فاق أقرانه ومعاصريه في تربية الناشئة تربية إسلامية، وإرشاد الخلق إلى طريق الحق، وبث الأخلاق الإسلامية، والآداب الشرعية في مجتمعه الليبي، وكان ـــ رحمه الله تعالى ـــ قدوة صالحة وأسوة حسنة لغيره، في حقبة تعدُّ من أحلك المراحل التاريخية البائسة التي مرت بها بلادنا، وهي أواخر العهد العثماني الثاني، وبداية عهد الاستعمار الإيطالي، فهي حقبة صعبة جداً من ناحية فرص التحصيل العلمي؛ إذ يعز فيها وجود من يربي ويعلم، ويدل الناس على طريق الله، ويعرفهم بأوامره ونواهيه، ويقوم بمهمة التبصير في الدين، وقد اضطلع الشيخ الأمين بهذا الدور الهامّ، وقام به دون توانٍ أو تقصير، مخلصاً لله في كل أعماله، فأمدَّه الله بعونه وتوفيقه، وما خيَّب مسعاه.

إنَّ الدور الدعوي والإصلاحي الذي قام به الأمين العالم، وأوقف عليه حياته، وبلغ فيه شأواً بعيداً، يمكن معرفته بمعرفة دور الشيخ المربي، وأهمية وجود القدوة الصالحة والأسوة الحسنة في المجتمع، فالناس لا تؤثر فيهم القيم والمبادئ المجردة بنفسها، إلا إذا تجسدت وبرزت في سلوك بعض الأشخاص الأخيار من صفوة المجتمع، وفي ذلك يقول الحق سبحانه:**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾**[3]، ويقول جلَّ شأنه:**﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[4].

يقول جمعة الزريقي عن الشيخ الأمين: «إنَّه اقتصر على التعليم والإصلاح»[5]، فانظر ماذا يمكن أن ينتج عن هاتين المهمتين:

- ينتج عن الأولى منهما، وهي: "التعليم" حملة لكتاب الله العزيز، وطلاب للعلم والمعرفة، بل وعلماء مجازون للتعليم والتوجيه، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد.

وقد تخرج على يدي الشيخ الأمين أعداد كبيرة من حملة كتاب الله، وطلبة العلم، ونال منه الإجازة العلمية عدد من الشيوخ والعلماء، مثل: أحمد بن محمد بن حمادي، ومحمد بن علي الشريف زغوان، وعلي أمين سيالة، وغيرهم[6].

- وينتج عن الثانية، وهي: "الإصلاح": من يقوم على تربيتهم تربية صالحة من المريدين والأتباع، فإنَّ الأمين كان حريصاً ـــ دائماً ـــ على نشر مبادئ وقيم التصوف الصحيح، التي تمثل روح الإسلام، وركن الإحسان في الدين، وهو:(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)[7]، فلا يكفي ـــ في ديننا الحنيف ـــ الاقتصار على المعرفة الذهنية للأوامر والنواهي، بل لابدَّ من الالتزام بها قولاً وعملاً، والدعوة إليها بالسلوك الحسن والقدوة الصالحة، أكثر من المواعظ والنصائح.

وهكذا كان الشيخ الأمين العالم، يربي أبناء المسلمين على الفضائل والمكارم، ومحاسن الأخلاق والآداب بحاله قبل أن يربيهم بمقاله، وقد نتج عن هذه التربية أجيال من المؤمنين الصالحين، والأتقياء المخلصين، الذين تمسكوا بدينهم وعروبتهم، وقرآنهم ولغتهم، في زمن كان الاستعمار الإيطالي يغزو البلاد فكرياً وعسكرياً واقتصادياً، ويحرص أشد الحرص على طمس معالم الإسلام، والتشكيك في عقائد الإيمان، وهكذا استضاء المسلمون ـــ في بلادنا ـــ بذلك النور الإلهي، وسط ظلمات تراكم بعضها فوق بعض.

---

[1] - موسوعة الأعمال الكاملة، للشيخ محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، الطبعة الأولى، 1431ه/ 2010م، دار النوادر، سوريا 122/5.

[2]- المصدر السابق. نفس الجزء والصفحة.

[3] - سورة الأنعام، من الآية:(91).

[4] - سورة لقمان، الآية:(14).

[5] - أعلام الزاوية القادرية ص4

[6] - ينظر: أعلام الزاوية القادرية ص4، ومخطوط منح رب العالمين ص18.

[7] - أخرجه البخاري في صحيحه، باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، حديث رقم:(50)، ومسلم في صحيحه، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم:(10).

وإلى جانب ما كان يقوم به الشيخ الأمين من التعليم والتربية والإصلاح، كان يقوم بدور الإفتاء والإمامة والخطابة[1]، فكان يفتي الناس فيما يعرض لهم من قضايا ومسائل ونوازل، ويخطب الجمعة فيعظ الناس ويرشدهم، ويبصرهم بأمور دينهم، ويؤمهم في الصلاة، وهذه أمور لا يستغني عنها الناس في بلد مسلم.

إنَّ تاريخنا الحافل ليقف إجلالاً لأولئك العلماء الربانيين العاملين بعلمهم، من رجال العلم والتصوف المخلصين، الذين ساروا على النهج القويم، صراط الله المستقيم، وتتابعوا طبقة بعد طبقة، وقرن بعد قرن، وأسسوا طرقاً لتربية الأرواح، وتزكية النفوس، وتطهير القلوب، هي في حقيقة أمرها جامعات ومدارس فكرية وروحية، تدعو إلى الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وإقامة شعائر الدين، بأساليب صحيحة في الدعوة والنصيحة، مُوصِلة إلى الله، ويحضرني في هذا المقام أن أورد تلك المقالة الرائعة للجاحظ، قال: «ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر أعرابياً، ويكون الداعي إلى الله صوفياً»[2] .

أقول بعد هذا: إنَّ الشيخ محمد الأمين العالم ـــ رحمه الله تعالى ـــ كان أحد أعلام الصوفيين الدعاة في بلادنا، وله جهود كبيرة ومنهج قويم في الدعوة والإصلاح الاجتماعي، دعا إلى الله على بصيرة في دينه، ودلَّ الخلق على طريق الحق، وإنَّ المتتبع لمسيرته الدعوية، وجهوده الإصلاحية يدرك أنَّ له بصمة مميزة، ومنهجاً واضح المعالم في الدعوة والإصلاح، يقوم على الربط بين أعمال الجوارح وأعمال القلوب، أي بين الفقه والتصوف، أو بين الشريعة والحقيقة؛ ولهذا كان منهجه مسدَّداً، وجهوده بارزة في الدعوة والإصلاح الاجتماعي. وقد تمثلت جهوده واتضحت معالم منهجه في الأمور الآتية:

أولاً: الدعوة إلى الله برفق، والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة، فالحرص على هداية الناس غايته، وتبصير الغافلين مقصده، فكل أقواله وأفعاله ومواقفه تترجم عن قصد النفع والإصلاح، فهو لا يتحامل على أحد، ولا يعنِّف في وعظه، وإنَّما يرشد ويوجه برفق، فيقوِّم المعوجَّ ولا يكسره، ويرشد الضالَّ ولا ينفِّره، فكان لين الجانب، رحيماً شفوقاً على الناس، وفي ذلك يقول تلميذه ابن حمادي: «وكان ـــ رحمه الله ـــ يبالغ جداً في تعظيم مخلوقات الله، والرفق بهم ما أمكن، ويقول: راع في كل مخلوق حق الخالق واحذر بطشه، وكن به واثقاً، خصوصاً الأقارب، ويقول: قال تعالى﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[3]»[4].

ويقول في موضع آخر: «ومن أخلاقه السليمة وتربيته الكريمة، أنه إذا رأى مني أو من غيري نقصاً أو خطأً، أو عملاً على غير المشهور، أن يأمر بمطالعة ما فيه المقصود، أو يأتيه بكتاب في ذلك، ويقول: طالع من كذا إلى كذا فقط، فيحصل الغرض، ويتم القصد» [5].

ثانياً: من جهوده في الدعوة أنَّه تقلَّد خطة الإفتاء في منطقة الساحل الشرقي لمدينة طرابلس، فقام بهذه المهمة الجسيمة بهمة وعزيمة، وكان كثير التحرِّي لنقل الرأي المعتمد في المسألة، فلا يرضى بالمواد القليلة فيها، بل يراجع المسألة في أمهات الكتب المعتمدة، المتاحة لديه، ويحرر فتواه من مصادر عديدة، ولا يتساهل في قبول الفتاوى من أي أحد، حتى يراجع المسألة في مظانها، ويقف عليها بنفسه، وقد وصف تلميذه ابن حمادي منهجه في الإفتاء وجهوده في القيام بهذه المهمة، فقال: «كان يتمهَّل في الجواب إذا سئل، ويقول: (أسرعكم إلى الفتوى أسرعكم إلى النار)[6]، أو ما هذا معناه، ومن ورعه لابدَّ من المراجعة خوف النسيان، ولا يرضى بالمواد القليلة، ولا بالمُسنِد لفتوى، حتى يراجع المسند إليه؛ لأنَّه قد يقتصر على المراد وينسى قيداً أو شرطاً، أو يجري فيه خلاف، ويتحرى الصواب جداً خصوصاً في الطلاق والوقف، وقد رأيته كتب فيه جواباً نقل فيه من نحو عشرة كتب»[7].

قلت: كنت أتمنى أن ينقل لنا المؤلف بعض تلك الفتاوى المحررة؛ حتى نستبين منهجه في الفتوى، وطريقته في الاستدلال على الأحكام، بشكل أكثر وضوحاً، ولكنه لم يذكر في هذا الباب سوى شرح الشيخ لبعض عبارات أهل التصوف، أو تأويله لبعض المنامات، أو شرحه لبعض الأحاديث الشريفة[8].

---

[1] - منح رب العالمين، ص16، وبعض أعلام الزاوية القادرية ص4

[2] - البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق، عبد السلام هارون، 94/1 .

[3] - سورة النساء، من الآية:1

[4] - منح رب العالمين، ص35.

[5] - منح رب العالمين، ص67.

[6] - روى ابن عدي عن عبد الله بن جعفر مرسلاً:(أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار)، كشف الخفاء للعجلوني 50/1، فربما ذكر الشيخ الأمين هذا الحديث بمعناه، وإلى ذلك أشار المؤلف.

[7] - منح رب العالمين ص56.

[8] - ينظر: منح رب العالمين، ص55.

ثالثاً: دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة، ومراعاة الأخلاق المرضية والآداب الشرعية، وقد جاء ذلك في وصاياه البليغة الرائعة التي ذكر المؤلف قبساً منها، فقال: «ومن وصايا شيخنا الأمين... قال: أوصيكم وإيَّايَ بالإقلاع عن الأمور التي توجب الحرمان، فإنَّ طالب الإمداد بدون استعداد كالمسافر بغير زاد، أوصيكم بتقوى الله العظيم في السر والعلانية، وحفظ الحواس، ومراعاة الأنفاس، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، والوفاء بالعهود، وكثرة الركوع والسجود، وترك التدبير والاختيار مع المدبر المختار، والعمل بالسنة، والاقتداء بالأئمة، وموافقة المتبتل الطائع، ومجالسة المنيب الخاشع، ومعاشرة الوفي الخاضع، وزيارة الساجد الراكع...إلخ»[1].

رابعاً: ومن جهوده في الدعوة أنَّه سلك سبيل أشرف المهن وأعظمها، وهي مهنة التعليم والترشيد، فأقبل الناس عليه صغاراً وكباراً، وتلقوا عليه العلم، وانتفعوا ببركة مجالسته والتلمذة على يديه، قال عنه تلميذه المؤلف:«...عكف عليه الكبير والصغير، وانتفع بسره وبركته خلق كثير...»[2]، وقد أجاز الشيخ عدداً من تلاميذه النجباء ممن تأهل للتدريس والوعظ والإرشاد، وقد سبق ذكر عدد منهم[3].

خامساً: كان للشيخ الأمين دور كبير في التأليف بين قلوب الناس وإصلاح ذات بينهم، وكانت له وجاهة وتعظيم في نفوس مجتمعه المحيط، فيقبلون نصحه، ويمتثلون لحكمه، وكان لا يجيب أحد الخصمين ولا يحكم له، حتى يحضر خصمه، ويقول له: «نصف الكلام غائب، فأت أنت وخصمك ويكون خيراً إن شاء الله»[4]، وقد حكى تلميذه بعض المواقف في ذلك، منها[5]:

- أنَّه اختصم عند الشيخ الأمين شريكان في بيت، وكان لأحدهما دابة فحلف بالطلاق الثالث أن تبيت الدابة في البيت الليلة، وحلف شريكه أن لا تبيت فيه الليلة، وكان في المجلس شخص آخر فساره الشيخ الأمين أن يذهب ويخفي الدابة الليلة، بحيث لا يجد ربُّها إليها سبيلاً أبداً، ثم أمهلهما الشيخ حتى فعل الموصى ما أوصاه به، فبان لرب الدابة أنَّها ضلَّت، فخرج في طلبها فلم يجدها إلا في ثاني يوم، فانحلت يمين كلٍّ منهما[6]، ولم يحصل بينهما شر.
- وادعى شخص على آخر في شيء سرقه عند الشيخ، فبان للشيخ صدق المدعي وخيانة المدَّعَى عليه، ورضي صاحب الحق بتحليف الشيخ له على كتاب ابن أبي جمرة[7]، فأبرزه الشيخ للمدَّعَى عليه، لتحليفه وتبرأ منه عدة مرات، فما أمكنه أن ينطق باليمين أبداً، ثم أقرَّ بالحق وأداه واعتذر لصاحبه[8].

وقد نوَّه أحمد بن حمادي بالدور الدعوي والإصلاحي لشيخه الأمين، وما أحدثه من أثر مبارك في المجتمع، فقال: «ولما كمَّل الله له الأوصاف والآداب، وسما بالقرب وسُقِيَ صافي الشراب، حتى تحلَّى بالأنوار، واكتسى بسني الأسرار، سلك طريق التعليم والترشيد، فصدع بدعوة الخلق إلى حضرة الرب المجيد، فعكف عليه الكبير والصغير، وانتفع بسره وبركته خلق كثير، فحقَّــق الله رجاه، وبلغه مناه، حتى صرف أوقاته فيما يحبه الله ويرضاه، فانجذب الخلق إليه، وعولوا على قضاء حوائجهم الدينية والدنيوية عليه، فتراه يفتي ويجيز وينصح، ويوعظ ويسيِّب[9]، ويرشد ويصلح، إلى غير ذلك، وقد تقلد وظيفة الإفتاء الرسمي بساحل مدينة طرابلس الغرب سنة 1332ه، فقام بها حق القيام، إلى أن دعاه الملك القدوس العلاَّم، رحمه الله ورضي عنه»[10] .

---

[1] - المصدر السابق، ص52.
[2] - منح رب العالمين، ص17.
[3] - ينظر: صفحة: 19 من هذه البحث.
[4] - منح رب العالمين، ص56.
[5] - ينظر: المصدر السابق، ص56.
[6] - من حلف على فعل شيء ففات المحلوف عليه بمانع عقلي، فإمَّا أن يكون الحالف عيَّن وقتاً لفعله أو لا، فإن عين وقتاً وفات المحلوف عليه في ذلك الوقت، وانقضى الوقت لم يحنث. (ينظر: حاشية الصاوي على الشرح الصغير 340/1، ومواهب الجليل للحطاب 288/3، وشرح الخرشي على خليل 70/3). قلت: وحيث إنَّ صاحب الدابة حلف ليبيتنَّها الليلة في المنزل، فقد عيَّن لفعله وقتاً، وانقضى الوقت ولم يجد دابته بلا تفريط منه، ولذلك انحلت يمينه ولم يحصل بينه وبين شريكه شر، وهذا ما قصد إليه الشيخ الأمين بحكمته، رحمه الله تعالى.
[7] - هو كتاب بهجة النفوس شرح مختصر البخاري، لعبد الله بن سعد بن أبي جمرة، قد أخبرني غير واحد من أهل العلم أنهم كانوا يحلِّفون عليه الخصوم في طرابلس.
[8] - ينظر: منح رب العالمين، ص56.
[9] - قوله:(يسيِّب)، أي يطبب الناس بالرقية الشرعية، فالمؤلف يعني أنَّ شيخه الأمين يقصده الناس من= =أصحاب الأمراض والأوجاع فيخفف آلامهم وأوجاعهم بما يتلوه عليهم من الرقى الشرعية، أو يقرأ لهم في ماء فيشربونه، أو في زيت فيدَّهنون به، أو يكتب لبعضهم حرزاً فيعلقه، يقول ابن حمادي عن شيخه الأمين:(وكان يرقي بعض خواصه بوضع شيء من ريقه، ويضع عليه تراباً طاهراً في كاغد ويلصقه على الدُمَّل والوباء، فيعافى سريعاً بإذن الله)، منح رب العالمين ص 66.
[10] - منح رب العالمين،ص.16،17

المبحث الرابع: وفاة الشيخ الأمين، ومكان ضريحه، وثناء العلماء عليه.

وبعد أن قضى الشيخ الأمين أنفاس عمره ـــــ منذ أن وعى ـــــ في العلم والتحصيل، ثمَّ التصدُّر لإلقاء الدروس والإفتاء، والوعظ والإرشاد، وتربية المريدين من المتصوفة والمحبين وإرشادهم، وإعداد الشيوخ والعلماء، ودلالة الخلق على طريق الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلاج المرضى وتخفيف أوجاعهم بالرقى الشرعية، وإصلاح ذات البين بفضّ المنازعات بين المتخاصمين، بعد هذه الحياة الحافلة بجلائل الأعمال ودَّع الشيخ محمد الأمين العالم هذه الحياة الدنيا، ولبَّى نداء ربه، وانتقل إلى جوار الله الكريم، عن عمر يناهز السبعين سنة قمرية، وذلك يوم الخميس العاشر من شهر المحرم سنة 1342ه الموافق 24أغسطس 1923م، ودفن بمقبرة ابن فرج الله بمنطقة سوق الجمعة من ضواحي طرابلس، فرحمه الله رحمة واسعة، وطيب ثراه، وأسكنه فسيح جنته.

يقول أحمد بن حمادي عن وفاة شيخه ومكان ضريحه: «صرف هذا الأستاذ ـــ رحمه الله ـــ جواهر الأنفاس واللحظات من عمره المبارك في أشرف أنواع العبادات... وعكف نفسه بنور عقله وسره في خلوات المناجاة لبارئ الأرض والسموات، إلى أن تاقت روحه الزكية وعلت روحه ملبية إليه ـــ تعالى ـــ راضية مرضية، فتوفي يوم الخميس الموافق يوم عاشوراء ضحىً، ودفن بعيد العصر منه، فأول ليلة من ليالي قبره المبارك ليلة الجمعة المباركة بمقبرة سيدي ابن فرج الله، على رأس أخيه الأكبر الشيخ محمد نجم الدين وبهذه المقبرة والده وأفراطه المتقدمون، رحمة الله عليهم أجمعين»[1].

وقد درج الأوائل على استعمال حساب الجمَّل لإثبات تاريخ وفيات الأعلام، بإنشاء بيت من الشعر يدوّن به تاريخ الوفاة، من خلال معرفة مجموع حروف البيت بحساب الجُمَّل، ويكتبونه على القبر عادةً، وقد فعل ذلك المؤلف، لضبط تاريخ وفاة شيخه الأمين، فقال: «وقد قلت بيتاً واحداً على لسانه وقت وفاته، يحتوي على تاريخ سنتها، وكتبته على القبر:

ولمَّا دعانـــي الرب أرَّخته حبًّا* ألا ليت قومي يعلمون سرورنا»[2]**

1342= 517.+.206.+.156 .+.452.+. 11

رحم الله المؤلف الشيخ أحمد بن حمادي، الذي حفظ لنا سيرة علم من أعلام التربية الروحية والتزكية النفسية في بلادنا، الذين كانت لهم بصمة واضحة وقدم راسخة وجهود كبيرة في خدمة التصوف والسلوك، وهو الشيخ المربي محمد الأمين العالم، ورحم الله الشيخ الأمين وطيب ثراه، ونفعنا الله ببركات علومهم وأسرارهم، وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته، في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، أنَّه قريب مجيب، سميع الدعاء.

- **ثناء العلماء على الشيخ الأمين:**

وقد أثنى على الشيخ الأمين ثلة من العلماء، وظهر ثناؤهم عليه بما أنشأُوه فيه من مراثٍ بليغةٍ مؤثرةٍ، عدَّدوا فيها مناقبه العالية ومآثره الغالية، وتأسَّفوا على فراقه لهم، وما تركه في نفوسهم من فراغ روحي، وكما جاء في الحديث عن جابر مرفوعاً:(مَوْتُ الْعَالِمِ ثُلْمَةٌ لا تُسَدُّ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ)[3].

وقد أورد المؤلف في آخر كتاب:(منح رب العالمين)، مجموعة من المراثي التي قيلت في الشيخ الأمين ـــ رحمه الله تعالى ـــ بدأ فيها بنفسه، فهو أول من رثاه بقصيدتين، مثنياً عليه فيهما، معدِّداً مناقبه، متأسفاً على فراقه، الأولى تتكون من 19 بيتاً، منها قوله[4]:

كل شيء بقضـــــــــــاء ربنا ***** سلِّم لربنا لتحظ بالمنى

وارض بالقضاء إن رمت المنى ***** واسأله الثبات والصبر لنا

مات ذو العلوم مات غوثنا ***** مات عزنا بل مات خيرنا

مات سرنا ومات شهمنا ***** مات فخرنا ومات نصرنا

مات ذو الأسرار مات ذو التحف ***** مات ذو الرفعة مات حبرنا

---

[1] - منح رب العالمين ص81.

[2] - منح رب العالمين، ص81.

[3] - كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني، تحقيق، عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م، المكتبة العصرية، 113/1، برقم(273).

[4] - منح رب العالمين، ص82.

مات ذو الإحسان مات ذو الهنا ***** مات بحر السر مات طودنا

مات ذو الفضل الأجل شيخنا ***** مات الأمين فهو كنزنا

نجل لعبد النور يدعى العالم ***** معدن الأنوار والبر والثنا

ثم ختمها ببيت أثبت فيه تاريخ وفاته، وهو سنة 1342ه، بحساب الجمَّل، قال فيه:

أيا محباً هاك تاريخاً حكى *** للفردوس قد رحل قدوتنا**

1342=516 + 238 +104 + 410 + 29ه

وأمَّا القصيدة الأخرى فهي من 12 بيتاً فقط، منها قوله:

هذا هو الأستاذ واحد دهره ***** هذا لسان الصدق مالك أمره

هذا حياة الناس هذا أمانهم ***** هذ هو البحر الخضم لغيره

هذا وحيد الدين ناشر سره ***** بل كل برٍّ قد بدا من برّه.... إلخ

وللشاعر المعروف والأديب البارع أحمد الشارف، مرثية رائعة في الشيخ الأمين، يتفجع فيها على فراقه، وينوح عليه نوح الثكلى، وهي 15 بيتاً، وقد آثرت أن أثبتها كلها لروعتها، قال فيها[1]:

فراقك أيها المولى الأمين ***** يزيد به التوجع والأنين

أذاب حشاشتي وأطار نومي ***** وقرَّح عيني الدمع السخين

أنوح لفقدكم أبداً وأبكي ***** لقلب في محبتكم رهين

ومن لفتى يسير إلى مناه ***** وكان بنور هديك يستبين

تمرُّ به المواعظ والوصايا ***** فيرهقه بها عطف ولين

وكنت لكل مكرمة وفضل ***** يزيد بك التنبُّه واليقين

إذا خاض الأحبة في هواهم ***** فأنت إلى نجاتهم سفين

تسير بهم على عمل وعلم ***** وتوفيق الإله لهم قرين

لقد وفيت للإرشاد حقاً ***** وكنت لأهله نعم المدين

ومذ كانت تزورك أهل بدر ***** علمنا أن فضلك مستبين

بكت لفراقكم سبل المعاني ***** وجدَّ بها التشوق والحنين

ومن أنكى المصائب موت شخص ***** يموت لموته شرف ودين

وكيف تصان أسرار المعاني ***** لمودعها إذا فقد الأمين

ولو يؤتى به بدلاً صبرنا ***** ولكن الزمان به ضنين

وقلت لصاحبي أرخ لحبّي *** إلى الفردوس قد دخل الأمين**

1342=132+634+104+381+ 41+ 50ه

[1] - منح رب العالمين، ص83.

وقد أورد المؤلف مرثية أخرى في الشيخ الأمين لأحد تلميذه المبرَّزين، وهو الشيخ محمد بن علي زغوان، وهي 30 بيتاً، منها قوله[1]:

الأمر لله فما شاء فعل ***** وسوى الله ذليل أو أذل

هذه أفعاله قد شوهدت ***** هذه أحكامه عز وجل

كتب الموت على الخلق فكم ***** فلَّ من جمع وأفنى من دول

الزم الصبر وقابل بالرضا ***** كل شيء جاءنا منه نزل

كل خطب قد يكون هينا ***** بيد فَقْدَ العلم والفضل جلل

لهف قلبي لهف قلبي دائما ***** من همام فارق الدنيا ارتحل

إلى أن يقول:

مات ذاك الحبر ذاك المرتضى ***** مات شيخ الوقت والتقوى الأجل

مات غوث مات قطب العارفين ***** بقي المعنى وبالذات ارتحل

كم كرامات لنا منه بدت ***** ليس تحصى كنجوم أو رمل

كيف لا وهو أمين السر نجل ***** لعبد النور نور قد كمل

وعلى عادتهم فقد ختم الشيخ محمد زغوان مرثيته الرائعة المؤثرة ببيت أثبت فيه تاريخ وفاة شيخه الأمين وفق حساب الجمَّل، قال فيه:

هاك يا صاح تاريخ حبه *** للرفيق الســـامي حـــبراً قد نقــل**

ه1342 =180+104+ 211+ 382+ 450+ 15

وأخيراً ختم المؤلف تلك المراثي البليغة المؤثرة، بمرثية من أبيات معدودات للشيخ أحمد بشير أبو حجر اليزليتني مولداً وداراً، قال فيها[2]:

لقد خاننا في ذات سيدنا الدهر ***** ففي مثله لا غرو يستبعد الصبر

يحق على العينين أن تبكيا دما ***** عليه وتنعاه المكارم والفخر

وحق المعالي أن تشق جيوبها ***** لفقد همام زانه العلم والبشر

مطاع أمين عالم متمسك ***** مكين ويستسقى بغرته القطر

ولما سَرَتْ في منزل القرب روحه *** ففي مجمع الأبرار نار بها الصدر**

ه1342 = 325 +8+251+435+153+ 170

[1] - المصدر السابق ص84.

[2] - منح رب العالمين، ص86.

خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي بفضله تتمُّ الصالحات، فهذا ما تيسَّر إيراده، وتهيَّأ إعداده، في هذه المشاركة المتواضعة، وقد خلصت في خاتمة هذا البحث إلى تقييد بعض النتائج والتوصيات، وهي الآتية:

أولاً/ النتائج:

- إنَّ الشيخ محمد الأمين العالم وتلميذه أحمد بن حمادي ـــ رحمهما الله تعالى ـــ هما من كبار رجال العلم والتربية والإصلاح في القطر الليبي، وكان لهما إسهامات كبيرة وجهود بارزة في خدمة علوم الشريعة، وتعليم الناس وترشيدهم، وتبصيرهم بأمور دينهم، بما نشراه في مجتمعهما الليبي من العلوم الشرعية، وتربية الناشئة على الفضائل والمكارم.
- أضاء لنا هذا الكتاب جوانب من الحياة الثقافية والحركة العلمية التي كانت سائدة في بلادنا خلال العهد العثماني الثاني إلى بداية عهد الاستعمار الإيطالي، وفيه ذكر لبعض ملامح المجتمع الليبي آنذاك، مما يدخل ضمن الدراسات الاجتماعية.
- ذكر المؤلف ـــ أيضاً ـــ أساليب التعليم التي كانت متبعة آنذاك، والعلوم التي تدرس، والمؤلفات التي كانت متداولة بين أهل العلم والتصوف إبَّان ذلك العهد.
- يؤخذ على المؤلف في كتابه هذا احتجاجه ببعض الأحاديث الضعيفة، وركاكة أسلوبه في بعض المواضع، ولكن هذا لا يغض من القيمة العلمية للكتاب، فإنَّه يعدُّ مرجعاً مهماً في بابه، يجد فيه القارئ بعض ما يريد.

ثانيًا/ التوصيات:

- أوصي بعقد المزيد من الندوات والمؤتمرات العلمية؛ لإحياء سير الأعلام من أبناء بلادنا، ونشر مآثرهم، وتعريف الأجيال الجديدة بجهودهم وإسهاماتهم في ميادين العلم والثقافة؛ لبعث القدوة في نفوس الناشئة، والسير على نهجهم القويم في طلب العلم والصبر على شدائده.
- ألفت انظار الباحثين إلى بذل المزيد من الجهد؛ لتحقيق ما تبقى من الآثار العلمية للشيخ أحمد بن حمادي، لإخراجها إلى النور وتوسيع قاعدة القراء، لمزيد الاستفادة منها.

وختاماً... أسأل الله العظيم باسمه الأجل الأكرم، أن أكون قد وفِّقت في تغطية مباحث هذا الموضوع، ونشر مآثر هذين العلمين من أعلام بلادنا، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينتفع به من اطَّلع عليه، إنَّه سميع قريب مجيب الدعاء.

المصادر والمراجع:

1. ألفية المواهب السنية، محمد بن علي زغوان، "مخطوط"، بحوزتي صورة ضوئية منه.
2. بعض أعلام الزاوية القادرية في طرابلس الغرب، جمعة محمود الزريقي، الطبعة الأولى، 1995م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
3. بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير، لأبي البركات أحمد الدردير، لأحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، (د.ط)، (د.ت)، دار المعارف.
4. البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق، عبد السلام هارون الطبعة السابعة، 1418هـ/ 1988م، مكتبة الخانجي، القاهرة.
5. تراجم ليبية: "دراسة في حياة وآثار بعض الفقهاء والأعلام من ليبيا قديما وحديثا"، لجمعة محمود الزريقي، الطبعة الأولى، 1998م، مطابع العدل، طرابلس.
6. حادي العقول إلى بلوغ المأمول، لأحمد محمد بن حمادي، تحقيق، جمعة محمود الزريقي، الطبعة الأولى، 1998م، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس.
7. سلطان الأولياء، أحمد الزوي، الطبعة الأولى، 1999م، منشورات زاوية سيدي نصر القادرية، طرابلس.
8. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق، مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة، 1407ه/1987م، بيروت.
9. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، (د.ت)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
10. الطبقات الكبرى، المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، للشيخ عبد الوهاب الشعراني، (د.ط)، 1959م، دار العلم للجميع، القاهرة.
11. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، لإسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني، تحقيق، عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة الأولى، 1420هـ/ 2000م، المكتبة العصرية.
12. لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن، أحمد بن عطاء الله السكندري، ط2، 1992م، مكتبة عالم الفكر، مصر.
13. لمحات من التصوف وتاريخه، السائح علي حسين، الطبعة الأولى، 1994م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

14. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد العاشر 1995م، طرابلس.
15. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الثاني عشر، 1997م، طرابلس.
16. مجلة الأسوة الحسنة، العدد السابع 2002م، طرابلس.
17. مجلة أصول الدين، العدد السادس، جمادى الأولى 1444ه/ديسمبر2022م، كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الأسمرية
18. المدد الفائض في خلاصة علم الفرائض، لأحمد بن محمد بن حمادي، تحقيق، مصطفى الصادق طابلة، الطبعة الأولى، 1426ه/2006م، دار الخمس للطباعة والنشر، الخمس.
19. المذكرة الخطية، لابن المؤلف شكري أحمد بن حمادي، بحوزتي نسخة منها.
20. منة الخالق على المخلوق في إسقاط ما بذمته من سائر الحقوق، لأحمد بن محمد حمادي، "مخطوط"، بحوزتي صورة ضوئية منه.
21. منح رب العالمين في مناقب شيخنا الأمين، لأحمد بن محمد ين حمدي، "مخطوط". قمت بتحقيقه، وهو جاهز للطباعة قريباً إن شاء الله تعالى.
22. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرُّعيني الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب، الطبعة الثالثة، 1412هـ/1992م، دار الفكر
23. موسوعة الأعمال الكاملة، للشيخ محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، الطبعة الأولى، 1431ه/2010م، دار النوادر، سوريا.